ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي الجزائري ١٨٥٠-١٨٧٥

أ. عيسى بوقرين
جامعة عمار ثليجي بالأغواط

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى إماطة اللثام عن شخصيات المقاومة في الجنوب الجزائري وبالأخص في منطقة الجنوب الشرقي التي عرفت قيادة جماعية للمقاومة استمرت ربع قرن من الزمن من سنة 1850و إلى غاية سنة 1875 وفي رقعة جغرافية واسعة امتدت حتى خارج التراب الوطني خاصة على الحدود مع تونس، هذا البحث يكشف عن أحد قادة المقاومة في تلك المنطقة، والذي دعته المصادر الفرنسية بملاح الصحراء ووصفته بشتى النعوت كالعدو الذي لا يلين، ويسميه الدكتور ابو القاسم سعد الله رحمه الله بشيخ المقاومين وذلك بسبب نزوله عن صهوة جواده وهو في سن السبعين، استطاع من خلال مسيرة بدأها مع الأمير عبد القادر منذ نهاية الثلاثينات من القرن التاسع عشر وأنهاها منفيا من تونس إلى الشام سنة 1875 استطاع أن يعرقل لفترة زمنية طويلة زحف الفرنسيين على الصحراء الجزائرية الكبرى.

الكلمات المفتاحية: ابن ناصر بن شهرة، الصحراء، الأغواط، الأرباع، الشريف محمد بن عبد الله، ورقلة، سي حمزة،

Abstract **:**

This research aims at revealing the personalities of the resistance in the south of Algeria, especially in the south-east, which was known as the collective leadership of the resistance for a quarter of a century from 1850 *until* 1875 *and in a wide geographical area that extended even outside the national territory, , This research reveals one of the leaders of the resistance in that region, who*

was nicknamed by the French sources the sailor of the desert and described him with various denominations as the enemy that does not soften, and Dr. Abu Qasim Saad Allah, may Allah have mercy on him,called him the elder of the fighters and that because he got off his horse at the age of Seventy, managed through a process initiated with Prince Abdul Kader- Since the end of the thirties of the nineteenth century and the end of exile from Tunisia to Syria in 1875 he was able to impede for a long time the march of the French on the Sahara.

مقدمة:

كان لظهور شخصية ابن ناصر بن شهرة على مسرح الأحداث خلال فترة الخمسينات أثره البالغ على حركة المقاومة الشعبية في الصحراء الجزائرية بشكل عام وخاصة في منطقة الجنوب الشرقي بشكل خاص، بعد تحالفه مع شريف ورقلة محمد بن عبد الله وقيادتهما لمقاومة استمرت فترة طويلة من الزمن، ومشاركته في كل المقاومات في تلك الفترة خاصة مع أولاد سيدي الشيخ 1864، ومع الشريف بوشوشة سنة 18969، ثم في ثورة المقراني سنة 1871، فمن هي هذه الشخصية ؟ وما هي أبرز الأدوار التي لعبها؟ وهل انضمامه للمقاومة يعد فعلا إضافة حقيقية لمنع الزحف الاستعماري نحو الجنوب؟.

يهدف هذا البحث إلى استكمال كتابة تاريخ المقاومة الشعبية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، من خلال الكشف عن شخصية محورية لعبت دورا كبيرا في المقاومة في منطقة الجنوب الشرقي، هو ابن ناصر بن شهرة الذي خاض مقاومة فاقت الربع قرن وامتدت إلى مناطق واسعة داخل الوطن وحتى خارجه.

1/ شخصية ابن ناصر بن شهرة:

هو ابن ناصر واسم أبيه ابن شهرة ابن فرحات[1]، ولد سنة 1804 بضواحي الأغواط، ينحدر من فرقة أولاد سي عيسى من عرش المعامرة المنتمية بدورها إلى قبيلة الأرباع الكبرى التي تسكن تلك المضارب، وهو من عائلة توارثت المجد والقيادة، وقد تربى في وسط يتفاخر فيه الناس بالشهامة والبطولة والفروسية، فنشأ فارسا شجاعا واشتهر جده فرحات بالشجاعة والكرم مما أهله لأن يكون قائدا على قبائل الأرباع كلها[2].

وقد ورث هذه السيادة أيضا حفيده ابن ناصر، وهو أيضا شخصية مرموقة، حفظ القرآن الكريم منذ صغر سنه على عادة أهله، وتعلم مبادئ الفقه عل يد مشايخ الطريقة القادرية ومن أبرزهم الشيخ أحمد الشاوي بالأغواط، وبذلك كله اكتسب قدرات كبيرة جعلته قائدا وفارسا مغوارا، وارتقى عرش السيادة بدوره على قبائل الأربـاع سنة 1846[3].

تعتبر قبائل الأرباع إحدى أكبر القبائل في الصحراء في ذلك الوقت والتي كانت ترحل نحو المناطق التلية في فصل الصيف قصد تبادل المنتجات المختلفة مع مختلف القبائل الأخرى والتزود بالقمح[4]، وحينها كان الأمن مفقودا في الطرق التجارية تلك، لذلك لا يقدر على التنقل إلا من كان شجاعا ويستطيع الدفاع عن الأهل والأموال والماشية، وكان هذا بالنسبة لابن نـاصر مدرسة الحياة الحقيقية في تعلم شؤون القيادة السياسية والاجتماعية والحربية، ولما كان هذا نسبه ودأبه كان مطمح مصاهرة من قبل قادة ومشايخ المنطقة، وبخاصة الذين عرفوه عن قرب ومنهم أحمد بن سالم شيخ الأغواط[5]، الذي أراد بمصاهرته تقوية صفه ضد أعدائه من المنافسين له على سلطان الحكم، لذلك كان هذا أول زواج له حيث أنجب بنتا، ولما اصطدم بالنفوذ الفرنسي في المنطقة ورفض الخضوع له طلب من زوجته أن ترحل معه إلى أعماق الصحراء للهجرة والجهاد، فلما رفضت طلقها، وتوفيت ابنته منها بعد ذلك[6].

وقد تزوج ثانية الياقوت بنت محمد بن عبد الله شريف ورقلة عندما تحالف معه على الجهاد في الصحراء منذ سنة 1851، وقد أنجبت له ولدين الأول يدعى محمد والثاني يدعى بن شهرة على اسم جده[7]، وبعد وفاة زوجته الياقوت تزوج مرة ثالثة بالمرابطة " نوة " أخت السيد مولاي عبد القادر الإدريسي من أولاد سيدي الشيخ، وقد أنجبت له ولدان فرحات ويحي وثلاث بنات، وهي التي رافقته إلى المشرق سنة 1875، ثم بعد وفاته رجعت بأبنائها إلى الجزائر، وبالضبط إلى مسقط رأس أبيهم[8].

أما عن أوصاف هذا البطل فهو أشقر اللون، أحمر الشعر وخاصة لحيته، كثيف شعر الحاجبين، دائري الوجه مدرع البنية له بندقية فريدة من نوعها[9]، ماهرا في الرماية أول الصف في المعركة، يلبس الحائك من الصوف ويعتم (يلبس العمامة) مثل الأمير عبد القادر، وكان إذا حمى وطيس المعركة يتنقب (أي يتلثم)[10]، كان عالما بدقائق الأرض الصحراوية حتى كان يلقب بالملاح

الحقيقي للصحراء[11]، كلما حاول الفرنسيون حصاره للقبض عليه انفلت منهم بأعجوبة، وتسلل من الحصار بسبب معرفته الكبيرة بخفايا الصحراء، بطلا شجاعا دام كفاحه أكثر من ربع قرن ضد الاستعمار الفرنسي 1851 – 1875 محاولا دحره وصده عن التوسع في الصحراء لا يحب الزعامة إلا إذا أرغم عليها وجد التأييد في الجنوب التونسي بصحراء الجريد وبخاصة لدى الزاوية الرحمانية بنفطه والتي كانت ملجأ للثوار الجزائريين والفارين بدينهم من الاستعمار وضل يناوش الاستعمار من هناك على الحدود مدة طويلة من الزمن في حرب الكر والفر، ومنذ 1851 لم يتوقف هو أتباعه من الأرباع عن الحرب ضد الاستعمار أو القبائل المتعاونة معه[12] .

قال فيه أحد الثوار[13] قولا مشهورا: (في الخيل عودي وفي الرجال ابن ناصر بن شهرة) وهذا دليل على مكانة الخيل التي كانت الأداة الهامة في جهاد الثوار واعتراف الأبطال بالأبطال، إذ لا يعرف البطل إلا البطل، ساهم بشكل كبير في الكثير من المقاومات والانتفاضات كمقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة 1851، ومقاومة أولاد سيدي الشيخ 1864 وبوشوشة في الصحراء1869، وثورة المقراني والحداد سنة 1871، جاب كل الصحراء من الشرق إلى الغرب قصد استنفار الهمم والحث على الجهاد، فشكل بذلك أول قيادة جماعية للمقاومة[14] وكان بحق الرابطة الحقيقية وهمزة وصل بين كل الثورات والانتفاضات التي اشتعل فتيلها ابتداء من خمسينات القرن التاسع عشر والى غاية 02 جوان 1875 حيث نفي من قبل باي تونس والذي أذن له بالركوب من مرسى حلق الوادي إلى بيروت، ومنها إلى دمشق حيث أمضى بقية حياته مجاورا للأمير عبد القادر إلى أن توفي سنة 1884[15].

2/ بداية مقاومته 1851:

تلقى ابن ناصر ابن شهرة تكوينا عسكريا في مدرسة الأمير عبد القادر الحربية والوطنية وكان من فرسانه الشجعان، وكان له تأثير كبير على الثوار في جمع الكلمة والانضباط ونشر العاطفة الدينية والوطنية[16] إلا أن مشواره الجهادي قد بدأه منذ اعتلاءه قيادة الأرباع سنة 1846، حيث كان يرفض كل تعامل أو اتفاق مع الاستعمار الفرنسي[17] وذلك بالرغم من العروض المغرية التي كان القائد العام لمنطقة المدية " الجنرال لادميرول " Ladmirault يعرضها عليه مقابل قبوله الانضواء تحت راية الفرنسيين، وكان أخر هذه العروض تلك التي حملها إليه " الملازم

كاروس "[18] Carrus بتاريخ 05 سبتمبر 1851 عندما كان رفقة قبائل الأرباع بالقرب من بوغار في إطار الرحلة المعتادة نحو المناطق التلية[19] .

وعلى غير العادة كانت في لهجة المبعوث" كاروس" وجنوده الصبايحية الثلاثين نبرة حادة تحمل في معانيها الكثير من التهديد والوعيد إذا ما رفض القائد ابن ناصر الانصياع لهذا العرض، فلم يكن أمامه هذه المرة إلا أن يعلن جهرة عن حقيقة شعوره تجاه الاستعمار، فحضر هو وأخوه أبو بكر كمينا لهذه البعثة ليبرهن عن قدراته القتالية ويعلن بذلك قيام انتفاضته، فجرد المبعوث "كاروس" وجنده من أسلحتهم[20] ونزع عنهم ألبستهم عدا ما يستر عوراتهم، ثم أطلق سراحهم وأمرهم بالعودة من حيث جاؤوا[21]، وليبلغوا من بعثهم بأن " ابن نـاصر بن شـهرة سيلتحق بمن يمثل الدين والاستقلال " وهو يعني بذلك الجهاد من أجل الوطن الذي يمثله آنذاك شريف ورقلة محمد بن عبد الله[22].

ومباشرة بعد ذلك انسحب ابن ناصر بن شهرة جنوبا وقد لاحقته القوات الفرنسية التي استطاعت أن تجرد زمالته من بعض رؤوس مواشيها في الشهبونية[23]، وقد وجهت نداء لكل الوحدات الفرنسية في تلك المناطق رفقة العملاء باعتراض قافلة ابن ناصر بن شهرة ومحاولة القبض عليه[24].

توجه ابن ناصر جنوبا نحو الأغواط وتحصن بقصر الحيران بعد أن تموّن بالشكل الكافي، كما اتصل بشريف ورقلة محمد بن عبد الله، الذي كان قد رجع آنذاك من المشرق واستقر بورقلة لمقاومة الزحف الاستعماري، وتفاهما على العمل والتنسيق المشترك بينهما، وكان ذلك خلال شهر نوفمبر 1851[25]، كما اتصل سكان المدينة بابن نـاصر بن شهرة وخاصة أعيانها للتعاون معه.

3/ تحالفه مع الشريف محمد بن عبد الله :

إن اتصال شريف ورقلة محمد بن عبد الله بابن نـاصر بن شهرة في بداية شهر نوفمبر 1851 يعتبر نقطة تحول كبيرة في تاريخ المقاومة في الجنوب ذلك أنه توحدت صفوف المقاومين في منطقة واسعة جدا امتدت من جنوب المدية شمالا إلى غاية جنوب ورقلة وعين صالح في الجنوب وإلى تقرت وبسكرة وتبسة شرقا وحتى البيض وتيارت غربا، وضمنت ولاء الكثير من القبائل الكبيرة

كالمخادمة وسعيد عتبة والأرباع وأولاد نايل والشّعانبة وغيرهم تحت قيادة موحدة هدفها وقف المد الاستعماري نحو الجنوب.

ففي رسالة بعث بها ابن ناصر بن شهرة إلى سي الشريف بالأحرش أغا أولاد نايل يؤكد التحاقه بالشريف محمد بن عبد الله وعزمه على مقاومة الاستعمار ويدعوه لذلك، ومما جاء فيها: " محبنا وغاية ودنا السيد محمد الشريف ...السيد محمد بن عبد الله قدم وميعاد المخادمة والشعانبة معه ...و لم تبق لنا طمعة في بلاد الفرنصيص ... وانت حسبناك منا وإلينا وحسبنا نحن لك وعليك، وانت في موضعنا... الوصاية[26]."

لم يكلف سي الشريف بالأحرش نفسه الرد على هذه الرسالة بل حولها بتاريخ 10 نوفمبر 1851 إلى قائد شعبة المدية[27].

بتحالف ابن ناصر بن شهرة مع شريف ورقلة محمد بن عبد الله تشجّع هذا الأخير وازداد نفوذه وعزم فعلا على التحرك ضد الاستعمار وأعوانه، فزحف بتاريخ 11 ديسمبر 1851 على رأس جيش متكون من قبائل سعيد عتبة، وشعانبة بوروبة(ورقلة)، وشعانبة المواضي الذين قدموا من المنيعة لتدعيم صفوفه، وكانت وجهة الشريف هذه المرة "عقلة المقاديم"[28] قرب الأغواط حيث تقطن اغلبية قبيلة أولاد سعد بن سالم[29]، الذين سارعوا إلى حمل اسلحتهم، كما استنفرت القوات الفرنسية وأعطيت الأوامر لسي الشريف بالأحرش للتحرك نحو عقلة المقاديم، مدعوما بقبيلة أولاد نايل بقوات قدرها 500 فارس، وبني الأغواط بقيادة الشيخ علي ابن أحمد بن سالم بقوة قدرها 150 فارس، وجبل عمور بقوة قدرها 150 فارس تحت قيادة الدين بن يحي[30].

لكن الشريف استطاع أن ينتصر عليهم، وقتل منهم حوالي 386 رجل كما غنم منهم الكثير من البنادق بالإضافة 500 رأس من الابل و400 رأس من البقر وأكثر من 4000 راس من الغنم[31]، ففي رسالة وجهها الشريف محمد بن عبد الله إلى مدير غدامس الحاج موسى آغا، يسرد فيها بعض تفاصيل هذه المعركة فيقول: " من محمد بن عبد الله إلى الفاضل الورع الحليم البدر الكامل مدير غدامس سيدي الحاج موسى آغا...و أما انا عبد الله حين قدمت إلى بلاد ورقلة ففتح الله علينا بها وصارت محمدية بعدما كانت في يد الرومي دمره الله وخليفة الرومي فيها...و صاروا عربان ورقلة وقصورها وقبائل الشعانبة وقصور تقرت وعربانها والارباع والحرازلية والمجاج وكثيرا

من عربان الظهرة وقصور بني ميزاب كلهم تحت طاعة الله ورسوله وطاعتنا، والمجاهدين كل يوم في زيادة...و بعث لنا الرومي دمره الله في هذه الساعة ثلاث امحل، محلة من بلاد العمور ومحلة من بلاد الأغواط ومحلة من جهة النوايل تلاقينا معهم وصرنا مثل الشامة البيضاء في ثور أسود فنصرنا الله نصرا عزيزا، وأعلننا على أعدائه ووقع القتال بيننا بالبارود والسيوف حتى كسرناهم كسرة عظيمة وقتلنا منهم نحو ثلاثة مائة وستة وثمانون رجلا وقلعنا من الخيل كثير والبنادق بلا عدد والخزنة والابل والاخبية والحمد الله على ذلك.[32]"

كما بعث الشريف محمد بن عبد الله برسائل مماثلة إلى كل من سيدي الشيخ بن الطيب من قبيلة لأولاد سيدي الشيخ الغرابة، وإلى سيدي محمد بن المكي من زعماء قبيلة بني زناسن، وإلى سيدي محمد بن ملوك مقدم سيدي أحمد بن علي زيسين من بلاد عطية، وفي هذه الرسائل يعرف بنفسه وكيف خرج نحو مكة، والتقاءه بالشيخ محمد بن علي السنوسي، ثم عودته نحو الجزائر عبر طرابلس ثم غدامس، ومنها إلى تقرت، وكيف استقر بورقلة ثم بداية كفاحه، كما يبشرهم بنصره في المعارك التي خاضها في شهر ديسمبر من سنة 1851 ضد الشريف بن الأحرش وأعوانه، كما يطلب في هذه الرسائل تقديم الدعم له بالرجال والسلاح[33].

بعد ذلك أخذ الشريف محمد بن عبد الله يستعد لغزو مدينة بريان وكاتب بقية المدن الميزابية يطلب منهم الخضوع وتقديم فروض الولاء والطاعة لسلطته، غير أنهم رفضوا ذلك بل إنهم أعلنوا استعدادهم لمحاربته وتحدوه قائلين له: "إذا أردت القتال فاتجه للفرنسيين مباشرة أعداء البلاد ."

في هذه الأثناء انسحب سي الشريف بالأحرش نحو بني يزقن بغرداية الذين استقبلوه بحفاوة، ومنحوه ما احتاجه لهذه المهمة، لكن وقع ما لم يكن في حسبانه بحيث اتصل كل من "بوزيان" و"بجرة" قادة بني الأغواط بالشريف محمد بن عبد الله في متليلي ووعدوه بانضمامهم إليه بتقديم 500 من المشاة لتدعيم صفوفه[34].

وفي مساء يوم 17 جانفي 1852 التقى الجميع في منطقة العقرب، حيث هاجم سي الشريف بالأحرش قوات الشريف محمد بن عبد الله، لكنه اكتشف خيانة بني الأغواط وجزء من أولاد يعقوب الذين انسحبوا إلى ضفة وادي جدي جنوب جبل بوكحيل، هذه الخيانة دفعت بسي

الشريف بالأحرش إلى طلب النجدة من القائد العام لمنطقة بوغار حيث جاء في رسالته: " اذا كنتم فرنسيين كما أعرف بعصبيتكم وشجاعتكم ... فلتثأروا لهذه الخيانة" وفي الحال أمرت السلطة الفرنسية النقيب بيتي Capitaine Petit القائد الأعلى لمنطقة بوسعادة بنجدته والتوجه حالا إلى وادي جدي[35].

هذه الأحداث أدت بسلطات الاستعمار إلى التفكير من أجل وضع حاجز من القبائل الموالية لها لحماية حدودها في المناطق التلية، ولهذا السبب أمر الجنرال راندون[36]Randon ، بتاريخ 7فيفري 1852 الجنرال لادميرول[37] Ladmirault في بوغار بتشكيل طابور متحرك من قبائل التيطري وقبائل التل قوامه 1500 فارس تحرك خلال شهر مارس في محاولة للتفاوض مع الأرباع وثنيهم عن التمرد[38]، بالإضافة إلى قبائل أولاد نايل تحت قيادة سي الشريف بالأحرش وفعلا تشكل هذا الطابور المكون من 4 سريات من الفرقة الأولى للصبايحية، 6 سريات من الفرقة الأولى لصيادي افريقيا، كتيبة من قناصة الأهالي، كتيبتين من الخط 12 لمدفعية الجبل[39].

كما قامت سلطات الاحتلال بإعادة التنظيم الجديد للجنوب فأوكلت لسي الشريف بالأحرش قيادة كل قبائل أولاد نايل لمقاطعة المدية، بينما رأت في أحمد بن سالم شيخ الأغواط بأنه الشخص غير المناسب لهذا التنظيم الجديد، ولا يملك مؤهلات للعب دورا مهم يحظى بثقة الادارة الفرنسية لذلك استدعته إلى المدية بحجة الاهتمام ببعض الأمور التجارية وعينت مكانه أحد أبناءه الشيخ علي لتسيير شؤون مدينة الأغواط، كما عملت على عزل قبيلة الارباع الكبرى ومحاولة الدخول في مفاوضات معها من أجل ثنيها عن التمرد[40].

في هذا الاطار تحرك الجنرال لادميرول نحو الأغواط بتاريخ 22 فيفري 1852 واتبع الطريق الذي سلكه "الجنرال ماري مونج[41] Marey Monge "قبله سنة 1844 حيث وضع هذا الأخير الخرائط الطبوغرافية اللازمة – ووصلت إلى الأغواط بتاريخ 01 مارس، حيث أعطى تعليمات لأحمد بن سالم ثم توجه نحو قصر الحيران حيث ترك هناك حامية عسكرية مكونة من كتيبة الخط 12 وكوكبة من الصبايحية، وبتاريخ 13 مارس عاد إلى الأغواط حيث التقى هناك بالكتيبة الثانية للمشاة الافريقية الخفيفة تحمل المؤونة قادمة من شرشال ولما أبلغ "الجنرال لادميرول " بقوة ومناعة ابن ناصر اكتفى بمراسلته من تحت أسوار مدينة الأغواط[42]، وكانت تلك

المراسلات تحمل نوعا من التودد والعروض المغرية، لكن ابن ناصر رفض كل تلك العروض، فرجعت تلك الحملة بتاريخ 02 ماي إلى المدية واعتبرت على أنها عملية جس نبض قوة المقاومة واقترحت على الدوائر الاستعمارية تجهيز حملة أكثر قوة لاحتلال الأغواط التي تعتبر منطقة هامة وعتبة أساسية للتوسع في الصحراء. [43]

في هذا الوقت أصبحت الوضعية خطيرة بالنسبة لفرنسا في جنوب مقاطعة وهران وفي جبل العمور خاصة بعد الضغوط والتهديدات من قبل الشريف محمد بن عبد الله على أولاد سيدي الشيخ الذين يقودهم الأغا سي حمزة[44]، الرجل الذي يتمتع بنفوذ ديني كبير عند كل قبائل المنطقة والذي جمع أنصاره من أجل التحرك نحو الجنوب للقضاء على هذه التمردات، من جهة أخرى جمع الرائد دوليني[45] Commandant Déligny قواته في تيارت والمكونة من كتيبة للمشاة والسرية الثانية للصبايحية واتجه نحو البيض، كما أمر سي حمزة بالتقدم نحو وادي زرقون بالقرب من قصر للماية بإتجاه وادي ميزاب[46].

وبتاريخ 25 مارس1852 سار الشريف محمد بن عبد الله بالقرب من الأغواط واتجه نحو قصر للماية[47] حيث قام بمهاجمة أولاد يعقوب، ومنها انتقل إلى وادي زرقون أين عسكر بالقرب من أولاد سيدي الشيخ، وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان حيث قام سي حمزة بإرسال 3 فرسان للشريف محمد بن عبد الله لتبليغه الدخول تحت قيادته[48]

ولما علم الجنرال لادميرول بما حدث غادر الأغواط باتجاه تاجرونة[49] واستقر عند منابع وادي صقر ليقترب من الشريف، هذا الأخير الذي أخذ الطريق نحو الجنوب، اما سي حمزة فقد كان قلق فالتف نحو وادي صقر وتوقف عند أسوار بريزينة.

وبتاريخ 2 أفريل وبسبب هذه التطورات غير الرائد دوليني من مساره واتجه نحو ستيتن من أجل مراقبة قصور بريزينة والغاسول واحتواء مشتريات أولاد سيدي الشيخ الغرابة والأغواط اكسل، ودخل في مفاوضات مع سي حمزة الذي وقع في ضغط بسبب حصاره من قبل قوات دوليني وقوات لادميرول فاضطر إلى الاستسلام[50].

وبتاريخ 7 أفريل أخذ الرائد دولييني طريقه نحو الشمال مصحوبا بسي حمزة الذي قدم له 3 رسائل استلمها من الشريف محمد بن عبد الله لكي يرسلها إلى 3 شخصيات مهمة في الغرب وهي: الأولى إلى سي الشيخ بن الطيب زعيم بني معطر قرب وهران، والثانية إلى سيدي محمد بن مكي رجل يملك نفوذ عند بني سناسن والمغاربة على الحدود، والثالثة لسيدي محمد بن ملوك مقدم زاوية سي امحمد بن زيعن مرسلة لكافة شرفاء الغرب، وكانت هذه الرسائل تحمل في معانيها الحماس الديني والدعوة إلى الجهاد، وكانت بالنسبة لقوات الاحتلال مؤامرة دينية تحاك ليس فقط عند قبائل جبل العمور ومقاطعة المدية بل كل سكان الحدود من الغرب وإلى الجنوب[51].

وقد جاء في إحدى الرسائل وهي الموجهة إلى السيد الشيخ بن الطيب ما يلي:

" أعلمكم يا أخي أنني كنت في مكة لغرض الدراسة هناك، وقد بقيت أربع سنوات، في نهاية العام الماضي تلقيت أمر من شيخنا الذي هو الشريف سي محمد بن السنوسي رضي الله عنه للذهاب إلى الجزائر من أجل الدعوة إلى الحرب المقدسة، غادرت و وصلت ورقلة فوجدتها بحوزة الفرنسيين، فبقيت متخفيا لمدة شهرين تقريبا ...لقد تم ايقاف خليفة الفرنسيين وتدمير قصره... لدينا جيش عظيم مؤلف من التوارق، الطرود، قصور بني ميزاب، كل الأرباع والحرازلية... وقد أرسل لنا الفرنسيون ثلاث طوابير لقتالنا من جبل العمور، من بني الأغواط، ومن أولاد نايل، اجتمعنا بهم وقد هزمناهم وغنمنا منهم الكثير من الأغنام والابل والبارود وقد قتلنا منهم نحو 300 رجل بينما مات من جيشنا 18 رجل... أرسل لنا من يريد أن ينظم إلينا وإن كنت خائفا فأبقى جالسا، إن الله يعلم ما في القلوب، تحية إلى أعمامي سيدي أحمد الحاج وسيدي الحاج الشيخ بن المدني..."[52].

وكان من أمر سي حمزة أن عزله الجنرال بيليسي[53] Général Pélissier ووضعه في الاقامة الجبرية بوهران وأوكل لأخيه سي النعيمي قيادة أولاد سيدي الشيخ، هكذا استطاعت القوات الفرنسية تحييد أولاد سيدي الشيخ وتجنب تمردهم الذي كان يمكن أن يحدث حصارا تاما عليها في الجنوب[54].

4/ أسباب اندلاع انتفاضته سنة 1851:

تلقى ابن ناصر ابن شهرة تكوينا عسكريا في مدرسة الأمير عبدالقادر الحربية والوطنية وكان من فرسانه الشجعان، وكان له تأثير كبير على الثوار في جمع الكلمة والانضباط ونشر العاطفة الدينية والوطنية[55] إلا أن مشواره الجهادي قد بدأه منذ اعتلاءه قيادة الأرباع سنة 1846 حيث كان يرفض كل تعامل أو اتفاق مع الاستعمار الفرنسي وذلك بالرغم من العروض المغرية التي كان القائد العام لمنطقة المدية " الجنرال لادميرول " يعرضها عليه مقابل قبوله الانضواء تحت راية الفرنسيين، وكان أخر هذه العروض تلك التي حملها إليه " الملازم كاروس "[56] بتاريخ 05 سبتمبر 1851 عندما كان رفقة قبائل الأرباع بالشهبونية قرب بوغار في إطار الرحلة المعتادة نحو المناطق التلية [57].

و على غير العادة كانت في لهجة المبعوث" كاروس" وجنوده الصبايحية الثلاثين نبرة حادة تحمل في معانيها الكثير من التهديد والوعيد إذا ما رفض القائد ابن ناصر الانصياع لهذا العرض، فلم يكن أمامه هذه المرة إلا أن يعلن جهرة عن حقيقة شعوره تجاه الاستعمار، فحضر هو وأخوه أبو بكر كمينا لهذه البعثة ليبرهن عن قدراته القتالية ويعلن بذلك قيام انتفاضته، فجرد المبعوث "كاروس" وجنده من أسلحتهم ونزع عنهم ألبستهم عدا ما يستر عوراتهم ثم أطلق سراحهم وأمرهم بالعودة من حيث جاؤوا وليبلغوا من بعثهم بأن " ابن نـاصر بن شـهرة سيلتحق بمن يمثل الدين والاستقلال " وهو يعني بذلك الجهاد من أجل الوطن الذي يمثله آنذاك شريف ورقلة محمد بن عبد الله[58].

ومباشرة بعد ذلك توجه ابن ناصر جنوبا نحو الأغواط وتحصن بقصر الحيران بعد أن تمول بالشكل الكافي، كما اتصل بشريف ورقلة محمد بن عبد الله الذي كان قد رجع آنذاك من المشرق واستقر بورقلة لمقاومة الزحف الاستعماري وتفاهما على العمل والتنسيق المشترك بينهما، وكان ذلك خلال شهر نوفمبر 1851[59] كما اتصل سكان المدينة بابن نـاصر بن شهرة وخاصة أعيانها للتعاون معه.

وفور وصول المبعوث "كاروس" إلى المدية وأطلع " الجنرال لادميرول" على ما وقع له سارت المخاوف والشكوك من اندلاع مقاومة في الصحراء لذلك توجه " الجنرال لادميرول " على

رأس قوة مؤلفة من 1300 من المشاة و500 فارس نحو الأغواط بأمر من الوالي العام " الجنرال راندون " موقع بتاريخ 17 فيفري 1852[60] تحركت هذه القوة بتاريخ 22 فيفري 1852 واتبعت الطريق الذي سلكه "الجنرال مونج" سنة 1844 - حيث وضع هذا الأخير الخرائط الطبوغرافية اللازمة – ووصلت إلى المنطقة بتاريخ 09 مارس، ولما أبلغ "الجنرال لادميرول " بقوة ومناعة ابن ناصر في قصر الحيران اكتفى بمراسلته من تحت أسوار مدينة الأغواط، وكانت تلك المراسلات تحمل نوعا من التودد والعروض المغرية، لكن ابن نـاصر رفض كل تلك المقترحات، فرجعت تلك الحملة بتاريخ 02 ماي إلى المدية واعتبرت على أنها عملية جس نبض قوة المقاومة واقترحت على الدوائر الاستعمارية تجهيز حملة أكثر قوة لاحتلال الأغواط التي تعتبر منطقة هامة وعتبة أساسية للتوسع في الصحراء[61].

إن اتصال ابن نـاصر بن شهرة بشريف ورقلة محمد بن عبد الله في بداية شهر نوفمبر 1851 يعتبر نقطة تحول كبيرة في تاريخ المقاومة في الجنوب ذلك أنه توحدت صفوف المقاومين في منطقة واسعة جدا امتدت من جنوب الجلفة شمالا إلى غاية ورقلة في الجنوب وإلى تقرت وبسكرة شرقا وضمنت ولاء الكثير من القبائل الكبيرة كالمخادمة والأرباع وأولاد نايل والشّعانبة وغيرهم تحت قيادة موحدة هدفها وقف المد الاستعماري نحو الجنوب.

و من أبرز المعارك التي قادها ابن ناصر بن شهرة رفقة الشريف محمد بن عبد الله في هذه الفترة تلك التي وقعت بتاريخ 22 ماي 1852جنوب واد جدي، ويسميها الفرنسيون بعملية " الكومندان كولينو"[62] حيث زحفا الاثنان من ورقلة فسيطرا على نقوسه ودخلا تماسين[63] دون مقاومة فانضمت لهما أعداد من ثوار واد ريغ والشعانبة[64] وسعيد عتبة[65]، كما حاولا دخول تقرت بمساعدة سلمان الجلابي أحد منافسي سلطان تقرت عبد الرحمن الجلابي لكن هذه المحاولة باءت بالفشل فاتصلا مع ابن الأحرش في الجلفة للحصول على مساندته لكن هذه المفاوضات فشلت، وبهذا كله أصبح الاثنان يهددان المركز الفرنسي في بسكرة الذي كان تحت قيادة " كولينو " فما كان من الأخير سوى توجيه ضربة إلى هؤلاء المقاومين فوجه قواته بشكل سريع في مساء يوم 20 ماي تتكون من أكثر من 200بين فارس وصبايحية وقنا صين، وفي اليوم الثاني 21 ماي

جمع حوالي 700 فارس من قوم تلك المناطق، كما تلقى مساعدات من بوسعادة بقيادة " الكومندان بان " ومن باتنة بقيادة " الكولونيل ديفو".

والتقى الجمعان صبيحة 22 من ماي[66] فحول "الكومندان كولينو" توجيه ضربة جريئة وسريعة للثوار لكن حنكة ابن ناصر ومحمد بن عبد الله جعلته يفشل ويتكبد خسائر كبيرة في صفوفه وذلك من خلال حرب الكر والفر نظرا لقلة العدد والعدة مقارنة بالقوة الفرنسية، وتذكر المصادر الفرنسية هنا أن الثوار خلفوا 150 قتيلا والكثير من العتاد[67].

بعد هذه المعركة انسحب كل من ابن نـاصر ومحمد بن عبد الله جنوبا إلى ورقلة وبالضبط إلى الرويسات حيث تم عقد اجتماع بين شهري جوان وجويلية قصد تقييم الوضع ورسم خطة حرب جديدة تتلاءم مع الوضع، فتم الاتفاق على جعل مدينة الأغواط منطلقا للعمليات ضد الاستعمار، وقد شرع في تنفيذ هذه الخطة مع نهاية شهر جويلية حيث دخل ابن ناصر ابن شهرة قصر الحيران بتاريخ 31 جويلية 1852[68] واستقبل استقبال الأبطال من أهلها فأقام بها التحصينات ونظم التموين وكان هدفه من تحصين قصر الحيران[69] هو جعلها مركز لجمع المجاهدين والثوار من كل المناطق المجاورة.

و بالفعل فقد توافدت أعداد معتبرة من الثوار 09 سبتمبر 1852 وكان أول الوافدين الثائر " التلي بالأكحل" ومعه عدد كبير من سكان منطقة بوسعادة (أولاد نـائل) وبتاريخ 24 سبتمبر وصل" يحي بن معمر " رفقة وفد عظيم من الأغواط والذين رفضوا تواجد الحامية العسكرية الفرنسية بمنطقتهم وأيدوا سياسة ابن ناصر الثورية[70]، كما إنظم له يحي بن سالم شقيق أحمد بن سالم[71]، ثم التحق به شريف ورقلة محمد بن عبد الله، فاتجها من قصر الحيران إلى مدينة القرارة[72] للتسليح والتموين.

وفور وصول هذه الأخبار إلى السلطات الفرنسية، أدركت أهمية المنطقة وضرورة السيطرة عليها لذلك عزم " الجنرال يوسف " القائد العام لمنطقة المدية - والذي خلف " الجنرال لادميرول – Ladmirault " على مراقبة الوضع عن قرب فشرع في بناء مركز قيادة جديد في مدينة الجلفة وقد اختار هذه المنطقة لكونها النقطة الرابطة بين بوغار والأغواط وهي قريبة من هذه الأخيرة تسمح بمراقبة الثائرين بها[73].

ولما علم "الجنرال يوسف" بقدوم قوة ابن ناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله باتجاه الأغواط سار جنوبا على رأس قوة كبيرة لصدهم عنها، وكان قبل سيره ذاك قد بعث برسائل إلى سكان الأغواط يحثهم فيها على عدم استقبال المقاومين لأنهم يشكلون خطرا عليهم، لكن هذه الحملة باءت بالفشل بالرغم من وصولها لمدينة الأغواط حيث تم ترتيب بعض الأمور الخاصة بالحامية الفرنسية هناك، ثم رجع الجنرال بحملته إلى الجلفة يوم 17 أكتوبر مبررا فشله بعدم المجازفة في منطقة يجهلها وهي بعيدة عن أقرب مركز للقيادة الموجود بالمدية ولأن مركز الجلفة ما زال في طور البناء[74].

و بعد هذه الحملة أرسل ابن ناصر ابن شهرة أخيه سي النعيمي[75] رفقة الشريف محمد بن عبد الله نحو المناطق الشمالية في اتجاه جبال العمور وذلك لجمع أكبر عدد ممكن من الثوار تطبيقا للخطة المتفق عليها في تلك الصائفة حيث كانا على رأس قوة تتألف من 500 فارس و300 جندي مشاة واستطاعا من خلال هذه الحملة أن يحرضا كل قبائل منطقة وهران وخاصة سكان عمور، والأحرار[76]، والأغواط أكسل[77] الذين انتفضوا في تلك المناطق[78].

وكان سكان الأغواط وعلى رأسهم ابن ناصر بن شهرة مستعدين لتنفيذ هذه الخطة، فهم في انتظار وصول القوافل القادمة من التل والمحملة بالقمح والمؤون قبل القيام بأي عمل ضد الاستعمار وكان ذلك من القضايا ذات الطابع الاستراتيجي والتي اتسم بها تفكير ابن ناصر ابن شهرة[79]، وبعد وصول ما كان منتظر وبتاريخ 29 أكتوبر1852 قام سكان المدينة بمحاصرة جنود الحامية الفرنسية بالمدينة وعلى رأسهم الملازم بن أحميدة[80]، فجردتهم من أسلحتهم وطردتهم من المدينة بتاريخ 31 أكتوبر 1852[81] حيث وصل ابن أحميدة إلى مركز القيادة الفرنسية بالجلفة يوم 01 نوفمبر1852.

وأصبح الوضع بذلك مقلقا جدا ومهدد للوجود الفرنسي في مناطق كان قد وصلها هذا الأخير منذ مدة، لذلك زود الحاكم العام قوات "الجنرال يوسف" بسريتين من القناصة وسريتين من الصبايحية وكتيبة للرماة وكلفه بتعقب المقاومين ابن ناصر ابن شهرة ومحمد بن عبد الله، وكذلك فان قائد مقاطعة إقليم قسنطينة زوده بقوات عهد لقائد الحامية في بوسعادة بقيادتها رفقة مؤونتها اللازمة ووضعها تحت تصرف "الجنرال يوسف"، كما تشكل طابور سريع التحرك في بسكرة بعناية "

الجنرال مكماهون" كلف بملاحقة ابن ناصر ومحمد بن عبد الله اللذين سيطرا على مناطق في الشرق[82].

وللضغط أكثر على ابن نـاصر بن شـهرة والشريف محمد بن عبد الله والثائرون معهم ومن أجل إعادة الثقة إلى سكان الصحراء وطمأنتهم حاولت السلطات الاستعمارية محاصرة الحدود التي ينشطان بها فبالإضافة إلى تجنيد القوات التي سبق ذكرها توجه " الجنرال بيليسي " قائد مقاطعة وهران رفقة " الجنرال بوسكارين " إلى البيض على رأس قوة مؤلفة من :

* كتيبتين من الزواف 1250
* كتيبة الخط الخمسين 600
* نصف الكتيبة الأولى الإفريقية 600
* ثلاث سريات قناصة 330
* سرية واحدة من الصبايحية.....110

مجموعها 2890 جندي وقاما ببناء مركز قيادة هناك يؤمن المؤونة للعمليات العسكرية في الجنوب وقد عين الحاكم العام " المارشال راندون "Randon"الجنـرال بيليسي Pélissier " قائدا عاما لجميع القوات العسكرية العاملة في الجنوب[83].

وفور سماع " الجنرال يوسف " Yusuf ما حدث من ثورة سكان الأغواط على جنود الحامية حتى تجهز من مركز قيادته الجديد بالجلفة وقصد الأغواط على رأس قوة كبيرة تقدر ب20 ألف جندي[84]، وفي تلك الأثناء كانت وفود المقاومين تصل إلى مقر القائد ابن ناصر ابن شهرة في قصر الحيران، فحاول " الجنرال يوسف" Yusuf قطع الطريق على هذه الوفود فعسكر في " ميروسة " على بعد 15 ميل من قوات ابن ناصر بتاريخ 18 نوفمبر وفي اليوم الثاني واصل زحفه حتى لم يبق له سوى ميلين.

وأمام هذا التصعيد قرر ابن ناصر ابن شهرة ومحمد بن عبد الله الزحف بقوة على موقع العدو حيث جرت معركة من أكبر المعارك التي شهدتها المنطقة آنذاك يوم 21 نوفمبر تكبد فيها العدو الفرنسي خسائر كبيرة إضافة إلى بعض قادته كالنقيب" أشطايل"[85]، وهو الأمر الذي جعل "الجنرال يوسف"Yusuf ينسحب إلى قصر العسافية[86] في حين دخل الثوار إلى مدينة الأغواط

تحت تكبيرات وتهليل السكان، وقد بدأوا على الفور في عمليات التحصين والتحضير للمواجهة الحاسمة مع العدو[87]. وللإشارة هنا فإن قصر العسافية كان مستودع الذخيرة لابن ناصر ابن شهرة حيث أقام فيه مصنعا للبارود تحت الأرض، لكن القوات الفرنسية لم تنتبه لذلك.

5/ دوره في انتفاضة مدينة الأغواط:

عملت الإدارة الاستعمارية على بث روح النزاع والفرقة بين القادة والزعماء من القبائل وشيوخ الزوايا مما أدى إلى زعزعة المنطقة ونشوب اضطرابات في غاية الخطورة في الوقت الذي اشتعل فيه فتيل مقاومة الزعاطشة 1849، وهي كلها معطيات أقنعت فرنسا بضرورة شن حملة على الأغواط التي شهدت اندلاع انتفاضتها وظهور قيادات مقاومة بها، وكان الاستعمار الفرنسي حريص كل الحرص على احتلال هذه النقطة بالذات لأنها ذات موقع استراتيجي هام وأحد الأعمدة الأساسية للسياسة الاستعمارية ذات الأهداف بعيدة المدى لاحتلال الصحراء الكبرى وجزء كبير من إفريقيا جنوب الصحراء فالأغواط تشكل:

1/ مركز متقدم لجنود الحراسة.

2/ بوابة للصحراء وقاعدة عسكرية يمكن التوسع منها إلى مناطق صحراوية أخرى .

3/ نقطة استراتيجية متساوية البعد بين الجزائر والقليعة وورقلة وقريبة من البيض وأولاد سيدي الشيخ وتسمح بأخذ جبال العمور من الخلف وهي أقرب نقطة استراتيجية صحراوية إلى مدينة الجزائر.

4/ مركز تموين الجيوش وإيوائها ومحطة للمياه.

5/ نقطة مراقبة تجارة الميزاب نحو التل ونقطة ارتكاز وحماية القوافل مثل معاهدة 1853[88].

6/ قاعدة عسكرية وموقع جيد لكل التحركات

7/ الموقع العسكري للأغواط يسمح بملاحظة ومراقبة وتحديد تحركات السكان إلى إفريقيا جنوب الصحراء.

8/ تشكل الأغواط وبسكرة وبوسعادة والبيض حزاما للأمن لكل شمال الجزائر.

9/ من الأغواط وفي حالة أي عصيان مدني على بعد 400 كم فان القوات العسكرية يمكن أن تتدخل في كل الاتجاهات من عين الصفراء إلى تقرت إلى القليعة

10/ منتجات الأغواط الفلاحية وتجارتها تسمح لفرنسا أن تراقب كل حركات العرب الرحل وإرغام السكان على الاتصال بالنظام الاستعماري[89] .

كل هذه العوامل كانت تدركها السلطات الاستعمارية بشكل جيد، كما كان يدركها أيضا ابن ناصر بن شهرة لذلك فان الصراع كان على أشده للسيطرة على هذه المنطقة، وعليه فان الاستعمار لم يستطع أن يسيطر عليها إلا بعد أن جيش لها خيرة رجاله وبأعداد كبيرة، فقد أحاطت القوات الغازية المدينة من كل جوانبها وكانت موزعة كما يلي[90]:

* من الشمال الجنرال يوسف Yusuf
* من الشمال الغربي العقيد ترومليTrumelet
* من الغرب الجنرال بيليسيPillissier
* من الجنوب الغربي الجنرال بوسكارينBouskaren
* من الجنوب الشرقي العقيد بان Pein
* من الشرق الرائد موران Morand

وهذا تفصيل لأهم القوات التي حاولت القضاء على انتفاضة ابن ناصر ابن شهرة واحتلال مدينة الأغواط[91]

1/ فصل قوات الفرقة الأولى والثالثة والرابعة للمدفعية.

2/ فصل الفرقة الثالثة للهندسة.

3/ الخط الخمسون مع كتيبة تحت قيادة " العقيد جرارد".

4/ الخط الستون مع كتيبتين تحت قيادة " العقيد ماركيز دو لينيار. "

5/ الفرقة الأولى من الزوافين مع كتيبة تحت قيادة " الرائد باروا. "

6/ الفرقة الثانية من الزوافين مع كتيبتين تحت قيادة كل من " العقيد كليرك" والرائد موران " و" الرائد ملافوس."

7/ الكتيبة الأولى للمشاة الإفريقية الخفيفة تحت قيادة " الرائد ليبيرت."

8/ كتيبة للرماة تحت قيادة "الرائد روز."

9/ فصل من فيلق للرماة من إقليم قسنطينة.

10/ أربع سريات للفرقة الثانية للصيادين إفريقيا تحت قيادة "العقيد رام."

11/ سريتان للفرقة الأولى للصبايحية تحت قيادة" الرائد فرانك."

12/ سريتان للفرقة الثانية للصبايحية تحت قيادة "الرائد دولاتور لوندو"[92]

وقد حدثت عدة مواجهات بين تاريخ 21 نوفمبر وإلى غاية 02 ديسمبر تاريخ الهجوم المكثف والذي استعمل فيه الفرنسيون تلك الأعداد الضخمة من الجنود، وجرت المعركة الفاصلة من 02 إلى 04 ديسمبر 1852 تاريخ سقوط مدينة الأغواط بعد استماتة عظيمة ومقاومة عنيدة جدا[93] من قبل المقاومين وعلى رأسهم ابن ناصر ابن شهرة والشريف محمد بن عبد الله[94]. حيث جرح هذا الأخير وأخرجه ابن ناصر ابن شهر من الحصار المفروض على المدينة دون أن يعلم الجيش الفرنسي[95].

ارتكبت فرنسا أبشع الجرائم عند احتلالها للمدينة [96] فقد قتلت ثلثي سكانها أي حوالي 2500 شهيد من أصل 3600 ساكن في ذلك الوقت، كما عاث الجنود الفرنسيون بالمدينة لأكثر من أسبوع كانوا ينتقلون من بيت إلى بيت، ويطلقون النار دون أي تمييز وينهبون ويسلبون الأثاث والنقود والحلي[97]، ويحرقون المؤونة، ولم تسلم حتى الكتب التي في الدور أو المساجد هذه الأخيرة التي دمر اثنان منها وحول الثالث إلى إسطبل للحيوانات أما الرابع فقد حول إلى كنيسة، أما من بقي حيا من السكان فقد وضع لهم محتشد كبير عانوا فيه الجوع والمرض والمهانة كأنهم حيوانات[98]، ومنهم من استطاع الفرار إلى خارج الحصار، أما أكبر جريمة ارتكبتها القوات الفرنسية فهي جمعها لأعيان المدينة ووضعتهم في أكياس أغلقت عليهم، ثم أحرقتهم قرب وادي أمزي ورمت ما يقارب 256 جثة في آبار، هذه الجرائم المرتكبة يشهد بها الفرنسيون أنفسهم، فأحد الضباط المشاركين في الحملة يقول : " حمل جنودنا على البلدة من كل صوب ... لا يخامرهم أدنى تردد في الفتك بكل من يعترض سبيلهم أو يحاول مقاومتهم مستخدمين كل ما لديهم ... وتم القضاء بالسلاح الأبيض على من تبقى من المقاومين .. " ويقول مرة ثانية : "... المجزرة كانت رهيبة والأزقة مغطاة بالجثث ... كان الجنرال بيليسي Pélissier في أتم الابتهاج والفرح وعلى جماجم هؤلاء احتفل بالنصر حيث فرشت الزرابي الفاخرة وسط المدينة وتناول عليها غداءه وهنأ ضباطه على انجاز المهمة[99]، ومما جاء في مذكرات " النقيب دوبراي Du Barail " : إن الجنرال بيليسي

Pélissier اتخذ بعد المجزرة قرارا بهدم المدينة واقتلاع نخيلها وترحيل من بقي من السكان إلى منطقة أخرى في الجزائر[100]، كما يصف الكاتب الفرنسي فرومنتان عند زيارته للأغواط بعد ستة أشهر من المعركة بأنه وجد المدينة ما زالت تفوح في جنباتها رائحة الجثث المتعفنة، وأن الكلاب تأتي ليلا لنهش أشلائها ويواصل قائلا :" جميع الأملاك المصادرة وضعت مؤقتا في عهدة حارس قضائي أما فيما يخص تلك الغنائم العظيمة من السجاد والأسلحة والحلي ...فيمكن القول أنه لم يبقى منها شيء في الأغواط... كل البيوت فارغة، من أفقرها إلى أغناها وتخالها مدينة رحل كل ساكنيها[101]".

خاتمة:

تعتبر مقاومة ابن ناصر بن شهرة 1850-1875 من أطول المقاومات الشعبية في الجزائر، وأوسعها من حيث الرقعة الجغرافية التي انتشرت فيها، كما تعتبر ذات بعد إقليمي عربي مسلم وليس وطني فحسب، فوطنيا شاركت فيها الكثير من القبائل والكثير من الطرق الصوفية (كالقادرية والسنوسية والشيخية والرحمانية...) و إقليميا فقد كانت تونس أيضا ميدانا لهذه المقاومة خاصة منطقة نفطة وتوزر والجريد، كما شاركت الكثير من القبائل التونسية في هذه المقاومة، وأيضا نالت دعما من الدولة العثمانية ولو معنويا، الشيء الذي بيّن مدى التلاحم والتضامن بين الشعوب العربية والإسلامية في ذلك الوقت، كما تعتبر مقاومة ابن ناصر بن شهرة من أهم المقاومات في الجنوب الجزائري التي قارعت التوسع الفرنسي وزحفه نحو الصحراء الجزائرية وعطلت مشاريعه وطموحاته بتكوين الإمبراطورية الفرنسية الواسعة في ظرف وجيز، كما تعتبر شخصية ابن ناصر بن شهرة من أهم الشخصيات التي تمتعت بحسها الوطني العالي تجسد ذلك من خلال مشاركته في الكثير من الثورات والمقاومات التي عاصرها، وشارك في الكثير من معاركها كجندي مدافع، غير مدعيا للزعامة ولا للقيادة، تلكم هي بعض خصال ملاح الصحراء والذي لم يترجل عن صهوة حصانه إلا بعد أن بلغ من العمر عتيا.

المراجع المعتمدة:

1- أبو القاسم سعدالله : الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.

2- أحمد قصيبة: ابن ناصر ابن شهرة أحد أبطال ثورة 1871 مجلة الأصالة عدد06، جانفي 1972.

3- يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق : المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1980.

4- إبراهيم مياسي: أطماع فرنسا في الأغواط، مجلة الرؤية، عدد 02، 1996.

5- المبشر: عدد 95 شهر أوت 1851.

6- المبشر: عدد 98 بتاريخ 1 أكتوبر 1851.

7- المبشر: عدد 113 بتاريخ 15 افريل 1852.

8- المبشر: عدد 104 بتاريخ 1 جانفي 1852.

9- *Randon*: ***Mémoires du Maréchal Randon***, *typographie Lahurb, Tome Premier, Paris* 1875 .

10- *Barbier J* : ***Itinéraire Historique Et Descriptif De L'Algérie***, *Librairie De L. Hachette, Paris,* 1855.

11- *Ch. A .Julien*: *Histoire de l'Algérie contemporaine.* (*Paris* –1964).

12- *Eugène Fromentin*: ***Un été dans le Sahara***, 3ème édition, *Librairie Plon, Paris,* 1877.

13- *Journal des marches de la colonne expéditionnaire du Général Ladmirault* (*Fev-Mai*1852). *A.M.G, 2H*14

14- *L. Le Saint , E. Ardant* : *Fastes de L'Algérie Ancienne et Moderne, Limoge,* 1873 *P*113 .

15- *Ladmirault* : *Au Sujet De La Défection des Larbaa et Ben-Naceur Ben-chohra,* ***A.O.M 2 H 10***

16- *louis Rinn*: ***L'insurrection De 1871 En Algérie***, *Librairie Adolphe Jourdan, Alger,* 1891, *p* 663.

17- *Mangin* : ***Note Sur L'Histoire de Laghouat***, *Adolphe Jourdan, Libraire Editeur Alger,* 1895

18- *Koyne* : ***Le Mzab***, *Adolphe Jourdan librairie éditeur, Alger,* 1879.

19-*Biographie de La Famille de Ben-Naceur et Lakhdar* : ***A.O.M 10 H 78.***

Charles Féraud: ***Le Sahara de Constantine, Notes et Souvenirs,*** *Alger* 1887

20- *Du Baril* : *Mes Souvenirs T. 2, 4 éme éd, Librairie plon ; Paris* 1895

21-*Lehuraux*: ***Les Auxiliaires De L'Armée (Goum Et Makhzens Algériens)*** *L'Armée D'Afrique N° 54, 6éme Année* 1929

22-*Maguy Gallet-Villechange* : ***Le général Paul de Ladmirault: un enfant du Poitou sous les aigles impériales****, Vitae,Parçay-sur-Vienne, France,* 2008

23-*Narcisse Faucon* : ***Le Livre D'Or De L'Algérie****, T1, Challamel et Cie éditeurs, Paris,* 1889

24-*Trumelet*: ***Les Français dans le désert : journal historique, militaire et descriptif d'une Expédition aux Limites du Sahara Algérien,*** *deuxième Édition, Challamel Ainé Editeur, Paris* 1885.

الهوامش:

[1] تذكر أحد المصادر الفرنسية أن أصل ابن ناصر بن شهرة يعود إلى أحد أشراف الساقية الحمراء يدعى علي قدم في حدود سنة 1570 إلى منطقة الزاب حيث مكث هناك عند قبيلة المعامرة و هاجر معها في حدود سنة 1635 إلى مناطق الأغواط و شيئا فشيئا تبوأ أفراد هذه الأسرة مكانة مرموقة داخل القبيلة حتى صاروا أسيادا عليها. أنظر:

Biographie de La Famille de Ben-Naceur et Lakhdar : **A.O.M 10 H 78**.

و من خلال ما تقدم فإن صحة هذه الرواية تبقى محل شك لسببين: الأول أن معلوماتها غير موثقة و لا يوجد مصدر لها، و السبب الثاني أن المصادر الفرنسية عادة ما تنسب أبرز الشخصيات الجزائرية إلى أشراف من الساقية الحمراء و المغرب الأقصى و كأنها تنفي صفة الشرف عن الجزائريين تماما.

[2] أحمد قصيبة : **ابن ناصر ابن شهرة أحد أبطال ثورة 1871** مجلة الأصالة عدد06، جانفي 1972 ص 56 .

[3] كان زعيم الأرباع هو قندوز بن علي من أجداد بن شهرة تقلد عدة مناصب تحت سلطة العثمانيين وظهر بعده ابنه أحمد الشاوي و ذلك ما يدل على أن ابن ناصر و أحمد بن الشاوي بينهما علاقة قرابة وأيضا فان عائلة بن ناصر بن شهرة منذ القدم و هم من قادة قبيلة الأرباع أنظر:

Charles Féraud: **Le Sahara de Constantine, Notes et Souvenirs,** Alger 1887 p .p 133.134.

[4] **المبشر: عدد 95 شهر أوت 1851.**

[5] أصبح أحمد بن سالم شيخا على الأغواط منذ سنة 1828، متفردا بالسلطة بعد أن أزاح من طريقه بن شهرة بن فرحات، أنظر:

Biographie de La Famille de Ben-Naceur ..... : OP, Cit.

[6] أحمد قصيبة : المرجع السابق ص 57.

[7] محمد قيل أنه قتل مسموما في قرية الادريسية من طرف الدوائر الاستعمارية بعد رجوعه من بيروت، وبعدما وعدته فرنسا بمنصب قائد . أما ابن شهرة بعدما رجع من الشام اشترك مع السنوسيين في ليبيا ضد الاحتلال الايطالي و استشهد سنة 1912. أنظر: إبراهيم مياسي **أطماع فرنسا في الأغواط** مجلة الرؤية، عدد 02، 1996.

[8] نسخة عن جواز سفر السيدة نوّة صادرة بقنصلية فرنسا بدمشق سنة 1889 موجود عند أحفاد العائلة بالأغواط.

[9] هناك الكثير من الأشعار الشعبية التي تفاخر ببندقيته نذكر منها ما قاله أحد الشعراء المجهولين:

رافدها ابن ناصر يتكيسر لايحها على المنكب الأيسر

مليها من الخذري يمعس حري من الفلكة يقصص

[10] أحمد قصيبة: المرجع السابق ص 57 .

[11] louis Rinn: **L'insurrection De 1871 En Algérie**, Librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1891, p 663.

[12] يقول لويس رين : " في نفطه، كان بن ناصر ابن شهرة الذي خلف أباه كأغا على الأربـاع سنة 1846 يقوم منذ سنة 1851 بحرب مستمرة ضدنا في الصحراء الشرقية، و لم يترك سنة واحدة لم يهاجمنا فيها أو قبائلنا التي رضخت لنا، أنظر:

louis Rinn: Op, Cit, P 88.

[13] هو الشهيد بوديسة المختاري ابن بن عودة زعيم قبيلة أولاد مختار من قصر البخاري و الذي سجن بفرنسا و الأغواط و استشهد سنة 1864 في إحدى معارك ابن ناصر ابن شهرة أنظر :

Trumelet: **Les Français dans le désert: journal historique, militaire et descriptif d'une Expédition aux Limites du Sahara Algérien,** deuxième Édition, Challamel Ainé Editeur, Paris 1885.pp. 17.26 et 44

[14] القيادة الجماعية التي شكلها ابن ناصر ابن شهرة لقيادة المقاومة في تلك المرحلة تعني مشاركة القيادة مع محمد بن عبد الله شريف ورقلة و أولاد سيدي الشيخ في نواحي البيض ثم مع بوشوشة في الجنوب و أخيرا مع آل المقراني في نهاية ثورتهم.

[15] يحي بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق** : المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1980، ص 156.

[16] أبو القاسم سعدالله : **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص 379 .

لا نعتقد أن الدكتور أبو القاسم سعد الله ذكر هذا الكلام بدون دليل، و منه فنحن نعتقد أن ابن ناصر بن شهرة فعلا كان أحد رجال الأمير عبدالقادر، و قد يكون سانده في حملته على عين ماضي منذ سنة 1838، ثم كلفه الأمير عبد القادر بجمع المؤن و الرجال و السلاح و الدليل على ذلك تلك الرسالة التي بعث بها الأمير لابن ناصر بن

شهرة يسأله فيها عن موقعه و بعض المعلومات الأخرى. هذه الرسالة موجودة لدى إحدى العائلات في ولاية تيسمسيلت اطلعنا على محتواها و لكن لا نملك نسخة منها.

[17] تشير الوثائق الأرشيفية أن قبائل الأرباع بدأت تمردها منذ اعتلاء ابن ناصر بن شهرة قيادتها سنة 1846، و تمثل تمردها على السلطة الفرنسية من خلال ممثل هذه الأخيرة في المنطقة الشيخ أحمد بن سالم، حيث امتنعت عن دفع الضرائب له، مما جعل سلطات الاحتلال الفرنسي تراقب بشكل مستمر هذه القبيلة و تحاول اغراءها بمختلف الطرق من أجل تقديم فروض الولاء، لكن دون جدوى، حيث ظلت طيلة خمس سنوات حتى أعلنت قبائل الأرباع تمردها بشكل رسمي سنة 1851. أنظر:

تقرير لرئيس المكتب العربي بالمدية مؤرخ بتاريخ جوان 1850 يظهر تمرد الارباع منذ سنة 1846 المصدر: **A.O.M 2 H 10.**

[18] الملازم **كاروس Carrus** من مواليد مارسيليا، يهودي الأصل، يتكلم العربية بطلاقة كلف منذ سنة 1849 بمهمة مراقبة قبيلة الأرباع خاصة بعد ورود معلومات عن تمردها غير المعلن ضد السلطة الفرنسية، ادعى أنه صديق ابن ناصر ابن شهرة و يعرف كيف يؤثر في نفسية العرب، لكن كل محاولته من أجل اخضاع الأرباع باءت بالفشل. أنظر:

Du Baril : Mes Souvenirs T. 2, 4 éme éd, Librairie plon ; Paris 1895, P 11

أنظر أيضا تقرير الملازم كاروس عن مراقبته لقبيلة الأرباع مؤرخ في 11 فيفري 1851. المصدر: **A.O .M 2 H 1**

[19] هناك اختلاف حول سبب انتفاضة ابن ناصر ابن شهرة في عدة مصادر فرنسية منها مثلا:

أن لويس رين louis Rinn ادعى أن ابن ناصر ابن شهرة لما رفض أن يطيع صهره الخليفة أحمد بن سالم و رفض الفرنسيون أن يعينوه أغا على الأرباع عام 1846 خلفا لأبيه غضب و تمرد و حمل لواء الثورة منذ سنة 1851 و لذلك اعتقلوه و وضعوه و عدد من زعماء الأرباع في الإقامة الجبرية قرب بوغار أنظر:

louis Rinn: Op. Cit. pp 663. 664

أما شارل فيرو Charles Féraud فيذكر أن ابن ناصر ابن شهرة يخفي حقدا قديما لابن سالم بسبب أن هذا الأخير قتل أباه (ابن شهرة)، و لما أصبح ابن ناصر قائد على الأرباع سنة 1846 نشب الخلاف بينهما، فقرر ابن ناصر التخلي عن منصبه و تزعم الثورة سنة 1851 أنظر :

Charles Féraud: Op. Cit. pp. 133.134

و من خلال استعراض هذه الروايات يتبين لنا عدم مصداقيتها من خلال التناقض الموجود بها فلطالما عودنا مؤرخي المدرسة الفرنسية على خلق الأكاذيب و تلفيقها من أجل نفي صفة المقاومة عن الجزائريين .

[20] Ladmirault : Au Sujet De La Défection des Larbaa et Ben-Naceur Ben-chohra, **A.O.M 2 H 10**

[21] المبشر: عدد 98 بتاريخ 1 أكتوبر 1851 ص 3.

[22] Barbier J : **Itinéraire Historique Et Descriptif De L'Algérie**, Librairie De L. Hachette, Paris, 1855, P334.

[23] مباشرة بعد حادثة بوغار و وصول الملازم كاروس للمدية و ابلاغ مسؤوليه بما حدث، استنفرت جميع الوحدات العسكرية و أعطيت الأوامر بضرورة القضاء على هذا التمرد في مهده أنظر: تقرير الجنرال لادميرول قائد مقاطعة المدية حول ملاحقة الأرباع بعد إعلان تمردهم. المصدر: **A.O.M 2 H 10.**

[24] في رسالة من الجنرال لادميرول إلى أحمد بن سالم شيخ الأغواط يحاول قائد مقاطعة المدية أن يطبق سياسة فرق تسد بين أبناء المدينة في محاولة لضرب ثورة ابن ناصر بن شهرة في مهدها. المصدر: **A.O.M, 2H 10.**

[25] Louis Rinn: Op. Cit. pp. 276.277

[26] رسالة من ابن ناصر بن شهرة إلى سي الشريف بالأحرش آغا أولاد نايل بدون تاريخ و قد تكون كتبت في شهر أكتوبر 1851 و الدليل على ذلك أن سي الشريف بالأحرش حولها بتاريخ 10 نوفمبر 1851 إلى قائد شعبة المدية، المصدر: **A.O.M,2 H10**

[27] Mangin : **Note Sur L'Histoire de Laghouat**, Adolphe Jourdan, Libraire Editeur Alger, 1895, P40.

[28] عقلة المقاديم: منطقة تقع بين بريان و الأغواط .

[29] المبشر: عدد 104 بتاريخ 1 جانفي 1852.

[30]Lehuraux: **Les Auxiliaires De L'Armée (Goum Et Makhzens Algériens)** L'Armée D'Afrique N° 54, 6éme Année 1929, P 123.

[31] Charles Féraud : Op, Cit, P 491

[32] الرسالة مؤرخة بتاريخ 6 جمادي الثانية 1268 الموافق لشهر مارس 1852 أنظر: أحمد صدقي الدجاني: مرجع سابق ص 295.

[33] للاطلاع على هذه الرسائل أنظر: Mangin : Op, Cit, Pp 112 ; 113 ; 114.

[34] Mangin : Op, Cit, P 41.

[35] Barbier J : Op, Cit, P 357.

[36] **الجنرال راندون Jacques-Louis-César-Alexander, Comte Randon :** من مواليد 25 مارس 1795 بقرونوبلGrenoble ، تقلد عدّة مناصب سياسية و عسكرية منها : عضو مجلس الشيوخ الفرنسي، و وزير، ماريشال

سنة 1841، و حاكم عام للجزائر بين سنتي 1851 – 1858، تحصل على وسام الشرف في 24 ديسمبر 1853، توفي بجنيف في 16 جانفي 1871. أنظر:

Narcisse Faucon : **Le Livre D'Or De L'Algérie**, T1, Challamel et Cie éditeurs, Paris, 1889, PP 507,508

[37] **الجنرال لادميرول : Louis René Paul de Ladmirault** من عائلة قديمة تنتمي إلى طبقة نبلاء أورليانس، ولد في 17 فيفري 1808 بمونت موريوا، تدرج في الرتب العسكرية من ملازم سنة 1832 إلى نقيب سنة 1837، أين شارك في الحملة على قسنطينة، قائد كتيبة سنة 1840، ثم قائد مقاطعة شرشال، قاد حملة على بني مناصر سنة 1842 أدت إلى ترقيته إلى رتبة عقيد سنة 1844، قائد مقاطعة المدية منذ سنة 1848. أنظر:

Maguy Gallet-Villechange : **Le général Paul de Ladmirault: un enfant du Poitou sous les aigles impériales**, Vitae,Parçay-sur-Vienne, France, 2008, Pp, 11, 13.

[38] أنظر تقرير حملة الجنرال لادميرول قرب وادي مزي بالأغواط بتاريخ 3 مارس 1852. المصدر: A.O.M 2H 6-8.

[39] Journal des marches de la colonne expéditionnaire du Général Ladmirault (Fev-Mai1852). A.M.G, 2H14

[40] **المبشر: عدد 113 بتاريخ 15 افريل 1852.**

[41] **ماري مونج (Marey-Monge (Guillaume-Stanislas** :جنرال فرنسي، عضو مجلس الشيوخ، ولد في 17 مارس 1796 في نوي، دخل سنة 1814 المدرسة متعددة التقنيات، كما انظم إلى المدرسة التطبيقية و التي تخرج منها الأول على دفعته، اختار سلاح المدفعية، اصبح ملازما سنة 1824 و نقيبا سنة 1828، شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر، شارك في العديد من الحملات العسكرية في الجزائر، رقي الى رتبة ماريشال سنة 1843، تحصل على وسام الشرف سنة 1854، و وسام الصليب سنة 1859، توفي سنة 1863. انظر :

Narcisse Faucon : Op, Cit, P 414.

[42] يمكن الاطلاع على بعض تفاصيل محاولة التفاوض الفاشلة بين الجنرال لادميرول و ابن ناصر بن شهرة من خلال التقرير المؤرخ في 15 مارس 1852، المصدر : **A.O.M 2H 6-8.**

[43] Randon: **Mémoires du Maréchal Randon**, typographie Lahurb, Tome Premier, Paris 1875 p 77.

[44] **سي حمزة** : هو سي حمزة بن سيدي بوبكر من قبيلة أولاد سيدي الشيخ، ولد في أواخر 1818 في قرية لبيض سيدي الشيخ، نشأ في زاوية أجداده، تعلم القرآن و اللغة العربية، و شب على ركوب الخيل و التدرب على السلاح استطاع أن يكسب ود الفرنسيين و ثقتهم فعينوه خليفة على مناطق واسعة من الصحراء امتدت من البيض إلى

ورقلة، و قد لعب دورا كبيرا في تقويض مقاومة الشريف محمد بن عبد الله و ابن ناصر بن شهرة، و في سنة 1860 نشب خلاف بينه و بين السلطات الفرنسية، فتم نقله إلى العاصمة حتى توفي فيها سنة 1861، فخلفه ابنه أبوبكر الذي تمكن من القاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله. أنظر :

Trumelet C : Les Français…. Op, Cit, Pp 80, 81

[45] **الرائد دولييني (Deligny (Édouard-Jean-Étienne** :ولد في 12 ديسمبر 1815، تخرج من الكلية الحربية بسان سير سنة 1835، شارك في الكثير من الحملات في الغرب الجزائري، كما شارك في معركة ايسلي 1844،نقيب سنة 1844، ثم عقيد سنة 1852، ثم رقي إلى رتبة جنرال سنة 1855 بعد الأعمال التي قام بها في منطقة جرجرة. أنظر:

Narcisse Faucon : Op, Cit, P 202

[46] Mangin : Op, Cit, P 42.

[47] **قصر المايا**: قصر قديم يقع غرب الأغواط و يبعد عنها حوالي 80 كلم.

[48] Mangin : Op, Cit, P 42.

[49] **تاجرونة**: قصر قديم يقع غرب الأغواط و يبعد عنها حوالي 70 كلم .

[50] Mangin : Op, Cit, P 42.

[51] Mangin : Op, Cit, P, P43

[52] الرسائل الثلاث مؤرخة كلها في النصف الثاني من شهر ربيع الثاني سنة 1268 هـ الموافق ل نهاية شهر جانفي 1852 أنظر:

Mangin : Op, Cit, P 112.

[53] **الجنرال بيليسي (Amable Jean-Jacques), duc de Malakoff** : ولد بتاريخ 6 نوفمبر 1794، تخرج من المدرسة الحربية بسان سير سنة 1815، ملازم سنة 1820، ثم نقيب سنة 1828، شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 ثم عاد إلى فرنسا حتى سنة 1839، عاد إلى الجزائر بعدما رقي إلى رتبة عقيد، أصيب مرتين أثناء حملاته ضد المقاومة الشعبية، قائد مقاطعة مستغانم ثم وهران، قاد الكثير من الحملات، و صاحب أكبر المجازر التي أنجزها ضد قبائل الظهرة الشهيرة سنة1845 ثم ضد الأغواط سنة 1852. أنظر:

Narcisse Faucon : Op, Cit, P 486

[54] Mangin : Op, Cit, P 43.

[55] أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 379.

[56] يعود السبب في اختيار هذا الملازم كاروس لهذه المهمة لأنه يهودي و ادعى أنه صديق ابن ناصر ابن شهرة و يعرف كيف يؤثر في نفسية العرب، لكن محاولته هذه باءت بالفشل.

[57] حول سبب انتفاضة ابن ناصر ابن شهرة هناك عدة مصادر تختلف عن بعضها فمثلا:

ادعى لويس رين أن ابن ناصر ابن شهرة لما رفض أن يطيع صهره الخليفة أحمد بن سالم و رفض الفرنسيون أن يعينوه أغا على الأرباع عام 1846 خلفا لأبيه غضب و تمرد و حمل لواء الثورة منذ سنة 1851 و لذلك اعتقلوه و وضعوه و عدد من زعماء الأرباع في الإقامة الجبرية قرب بوغار أنظر :

louis Rinn: Op. Cit. pp 663. 664

أما شارل فيرو فيذكر أن ابن ناصر ابن شهرة يخفي حقدا قديما لابن سالم بسبب أن هذا الأخير قتل أباه (ابن شهرة أب ابن ناصر)، و لما أصبح ابن ناصر خليفة على الأغواط سنة 1846 نشب الخلاف بينهما، فقرر ابن ناصر التخلي عن منصبه و تزعم الثورة سنة 1851 أنظر : Charles Féraud: Op. Cit. pp. 133.134

و من خلال استعراض هذه الروايات يتبين لنا عدم مصداقيتها من خلال التناقض الموجود بها فلطالما عودتنا المدرسة الفرنسية على خلق الأكاذيب و تلفيقها من أجل نفي صفة المقاومة عن الجزائريين .

[58] – يحي بوعزيز: المرجع السابق ص 152

[59] louis Rinn: Op. Cit. pp. 276.277

[60] Journal des marches de la colonne expéditionnaire du Général Ladmirault (Fev-Mai1852) A.M.G.2H14

[61] Maréchal Randon: Op. Cit. p 77.

[62] Ibid, P 79.

[63] نقوسة و تماسين واحات تقع إلى الشمال من ورقلة على ضفاف وادي ريغ.

[64] الشعانبة قبيلة كبرى تسكن نواحي متليلي جنوب غرداية.

[65] سعيد عتبة قبيلة كبرى من قبائل ورقلة.

[66] تعتبر هذه المعركة أول معركة حقيقية قادها ابن ناصر ابن شهرة ضد القوات الفرنسية رفقة محمد ابن عبد الله.

[67] عادة ما تكتفي المصادر الفرنسية بذكر الخسائر البشرية في صفوف المقاومة و تتحاشى ذكر الخسائر الفرنسية . أنظر: Randon: Op. Cit. p.80

[68] أحمد بوزيد قصيبة: المرجع السابق ص 58

[69] قصر الحيران : مدينة تبعد أربعين كم إلى جنوب الأغواط اتخذها ابن ناصر ابن شهرة أول مركز قيادة متقدم بالنسبة للمناطق الجنوبية وقاعدة خلفية لمدينة الأغواط.

[70] أحمد بوزيد قصيبة: المرجع السابق ص 58

[71] تلمساني بن يوسف : مرجع سابق ص 225

[72] القرارة : واحة تقع إلى الشرق من غرداية و هي النقطة الوسط بينها و بين ورقلة و وادي سوف.

[73] Randon: Op. Cit. .p. 108

[74] Ibid. p. 109

[75] الثائر سي النعيمي لا نعلم عنه الكثير سوى أنه أخ لابن نـاصر ابن شهرة وأحد أبطال انتفاضته و قد لازمه كثيرا، و هو الذي أرسله ابن ناصر يحمل رسالة إلى باي تونس محمد باشا أنظر : يحي بوعزيز: نفس الرجع السابق ص 154

[76] عمور : هم سكان نواحي آفلو، و الأحرار: هم سكان نواحي تيارت.

[77] الأغواط أكسل : هم سكان مدينة البيض.

[78] Randon : Op. Cit. p.110

[79] نلاحظ هنا دراية ابن ناصر ابن شهرة بالقواعد الاستراتيجية للحرب فهو يدرك تماما أن دخول الحرب ضد فرنسا دون وصول قوافل المؤونة القادمة من الشمال يمكن أن يعرض المدينة للخطر خاصة إذا ضربت القوات الفرنسية حصارا عليها و هذا شيء مهم في فنون القتال .

[80] ابن أحميدة : عينته القوات الفرنسية قائدا لفرقة الصبايحية التي شكلت بالأغواط سنة1851 و قد قدم خدمات كبيرة للاستعمار أنظر : Du Barail : Op. Cit. p.p.30.31.

[81] تعتبر هذه الحادثة هي الحجة التي اعتمدتها فرنسا للسيطرة على المدينة ففي ظل تمرد هذه الأخيرة عزمت فرنسا على القضاء نهائيا على ابن ناصر ابن شهرة و احتلال الأغواط

[82] Randon : op. Cit. p. 111

[83] Randon : op. cit. p.p.111.112

[84] كانت هذه الحملة محاولة لاحتلال المدينة لكن المقاومين ابن ناصر ابن شهرة و محمد ابن عبد الله تصديا له قبل وصوله لها. أنظر : Ibid. p. 112.

[85] Du Barail : op. Cit. pp. 32.33

[86] قصر العسافية : يقع إلى الشرق من مدينة الأغواط و يبعد عنها حوالي 14 كم. يعرف اليوم بالعسافية

[87] يذكر "الجنرال راندون " أن قوات ابن ناصر قد فقدت مئات الرجال بينما ذكر أن القوات الفرنسية. شهدت قتلى و جرحى دون ذكر الأرقام لكن من المؤكد أن انسحاب القوات الفرنسية إلى الخلف دليل خسارتها للمعركة . أنظر :

Randon: op. Cit. p.113

[88] هذه المعاهدة موقعة بتاريخ 29 ماي 1853 و هي عبارة عن نصب حماية تضمن للطرفين واجبات و حقوق معينة دون اللجوء إلى الحرب و تنص على دفع أهل ميزاب ضريبة سنوية للفرنسيين تقدر ب 45 ألف فرنك مقابل عدم التدخل في الشؤون الداخلية لهم و استمرار تجارتهم مع المغرب وتونس و من بين شروط الاتفاق أن

تحمي فرنسا أهل ميزاب في المدن و التل على أن يتعهدوا بعدم فتح أبوابهم لأعداء فرنسا ،. و كان هدف فرنسا من توقيع هذه الاتفاقية هو تحييد بني ميزاب من تأييد الثورة في الجنوب للمزيد من المعلومات أنظر :

.Koyne : **Le Mzab**, Adolphe Jourdan librairie éditeur, Alger, 1879 , P 200

[89] Mangin : op. Cit. p.172

[90] Du Barail : op. Cit. p. 47

[91] Trumelet: op. Cit. .p.79

[92] الشيء الملفت للانتباه أن فرنسا عند احتلالها لمدينة الأغواط جهزت قوات كبيرة لذلك و هذا لعلمها بحصانة المدينة من جهة و عدم استسلام سكانها بسهولة و لوجود قيادة بها تعلم جيدا فنون القتال، و هي بذلك احتلت جزائر أخرى بحسب قول أحد القادة الفرنسيين .

[93] L. Le Saint , E. Ardant : Fastes de L'Algérie Ancienne et Moderne, Limoge, 1873 P113 .

[94] لتفاصيل أكثر حول سقوط المدينة أنظر في ذلك الكثير من الدراسات منها :

Randon: op. Cit. p. 114 voir aussi Fromentin : op. Cit. p. 85; voir aussi Du Barail : op. Cit. p. 26

[95] L. Le Saint , E. Ardant : Op. Cit. P114.

[96] يطلق سكان المدينة من ذلك الوقت على هذه السنة 1852 التي احتلت فيها المدينة " بعام الخلية "، أي أن المدينة قد خلت من كل ما فيها جراء جرائم الاستعمار.

[97] Ch. A .Julien : Histoire de l'Algérie contemporaine. (Paris – 1964), PP390.393

[98] Du Barail : op. Cit. p.51

[99] Journal des marches de la colonne expéditionnaire du sud, G. Pélissier (siège et prise de Laghouat) A.M.G décembre 1852 ; 2H 14 . Voir aussi Randon : op. Cit. p. 114

[100] النقيب دوبراي : و هو الذي قتل قاضي الأغواط أثناء هذه الحملة ، ثم رقي فيما بعد إلى رتبة جنرال . كما رقي الجنرال بيليسي قائد الحملة إلى رتبة مار يشال و ذلك كله بفضل ما قاموا به في الأغواط.

[101] Eugène Fromentin: **Un été dans le Sahara**, 3ème édition, Librairie Plon, Paris, 1877. p.87